الفصل الأول

الأديان السماوية ودعوتها إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل كطريق مؤد إلى نشر الأمن الاجتماعي

المبحث الأول: الإسلام ودعوته إلى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل كطريق مؤدى إلى نشر الأمن الاجتماعى .

المبحث الثاني: اليهودية والمسيحية ودعوتهما للتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل كطريق مؤدى إلى نشر الأمن الاجتماعى .

تمهيد وتقسيم:

دعت الأديان السماوية (١) كلها إلى الفضائل للتحلى بها، ونهت عن الرذائل، للتخلى عنها، وأوصتنا بذلك لكي تؤدى فى مجملها إلى نشر الأمن الاجتماعى بين أفراد الأمة، ولها الأثر الأكبر على المجتمع.

الأمر الذى يدعونا إلى تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول

الإسلام ودعوته إلى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل كطريق مؤدى إلى نشر الأمن الاجتماعى

إن من ينظر فى الدين الإسلامى يجد أنه دعا أول ما دعا إليه هو عدم الإشراك بالله سبحانه وتعالى، وبر الوالدين والوفاء فى الكيل والميزان، والعدل فى القول ولو كان على ذات الإنسان أو قريب له، والوفاء بالعهد، ونهى عن قتل النفس بغير وجه حق، والزنا، والاقتراب منه، وأكل مال اليتيم، والتبذير والتقتير، والغرور، وقول الزور.. الخ.

- أثر التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل فى نشر الأمن الاجتماعى.

ولا شك أن كل هذه الأمور السابقة من شأنها أن يعم الأمن فى المجتمع وأن ينعم الناس به، فهى أمور مطلوبة لصلاح وسعادة المجتمع بصرف النظر عن ديانته وذلك كما يلى:

أولاً: إن من يقرأ آيات القرآن الكريم -لاسيما أواخر سورة الأنعام، وأوائل سورة الإسراء- يجد الدعوة واضحة إلى التحلي بالفضائل عموماً والتخلي عن الرذائل، والتي لو طبقت تطبيقاً صحيحاً لعاش أفراد المجتمع فى أمن وسلام.

١ - قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢).

٢ - ومن ثم نجد من شروط بيعة النبى ﷺ للنساء المؤمنات فى بيعة العقبة هو الائتمار بهذه الأوامر والبعد عن الرذائل سالفة الذكر قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (٣).

وهذا هو ما أيده حديث النبى ﷺ الذى رواه عنه عبد الله بن عباس قال: شهدت صلاة الفطر (٤) مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها(٥) قبل الخطبة فنزل نبى الله ﷺ فكأنى أنظر إليه يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم (٦) حتى جاء النساء ومعه بلال فقرأ: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ " حتى ختم الآية، ثم قال حين فرغ أنتن على ذلك فقالت امرأة واحدة لم تجبه غيرها لا يدرى الحسن (٧) من هى نعم قال: فتصدقن قال فبسط بلال ثوبه فقال: هلم(٨) فدى لكن (٩) فجعلن يلقين الفتخ (١٠) والخواتيم فى ثوب بلال (١١).

٣ - وكذلك نجد أن الأمر واضح فى سورة الإسراء بدعوتها إلى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل، وقال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا * وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ

الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا * وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً * وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً * وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا) (١٢).

ثانياً: ولا يقتصر الأمر على هاتين السورتين فقط، بل على اعتبار أنهما حوتا كل الفضائل والنهى عن الرذائل، ومن ثم فإن من يقرأ فى غيرهما من السور يجد نفس تلك المعانى:

١ ـ قال تعالى: ناهيا عن أكل أموال الناس بدون وجه حق من سرقة واغتصاب ونصب ورشوة....الخ، وبالجملة أيا كانت الصورة المأكول بها، وعن بناء الشخصية السوية فى المجتمع وعدم الانتحار: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (١٣).

٢ ـ وقال سبحانه وتعالى: آمراً بالعبادة له وعدم الإشراك به، والإحسان إلى تسعة أصناف وعدم الغرور والافتخار: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا) (١٤).

ولا شك أن الإحسان إلى هؤلاء –من كل إنسان– من شأنه نشر الأمن الاجتماعى بين أفراد المجتمع، حيث لا يوجد بينهم حقد ولا ضغينة والذى من الممكن أن يؤدى ذلك الحقد إلى القتل وعدم الأمن الاجتماعى.

٣ ـ وقال تعالى آمراً بأداء الأمانات إلى أهلها وعدم خيانتها؛ وإفشاء روح العدالة بين أفراد المجتمع حين الفصل فى الحكم: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (١٥).

ولا شك أن فى مراعاة ذلك من شأنه نشر السلام والأمن الداخلى فى المجتمع.

٤ ـ كما أمر أفراد المجتمع أن يأكلوا من الحلال الطيب وأن يبتعدوا عن الخبيث قال تعالى: (وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ) (١٦).

٥– كما نهى أفراد المجتمع جميعاً عن شرب المسكرات بل وحتى الاقتراب منها وذلك من أجل صلاحهم وصلاح المجتمع، وذلك لأنها تؤدى إلى إفساد العقول، فضلاً عن أنه بسببها من الممكن أن يرتكب الإنسان جرائم أخرى كالزنا والقتل والسرقة.. إلخ، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) (١٧).

وذلك لأن التعبير بلفظ "فاجتنبوه"أبلغ من لفظ لا تشربوا الخمر؛ إذ الثانى يفيد عدم الشرب، بينما الأول يفيد النهى حتى عن الاقتراب من مجالس الشرب، بل وكل وسيلة مؤدية إلى الشرب أو إفساد العقل، وهذا مثل قوله: (وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى) (١٨)، وقوله: (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١٩).

ثالثاً: ولذلك وصف الحق تبارك وتعالى عباد الرحمن وكما ورد فى سورة الفرقان بأنهم الذين تحلوا بالفضائل وتخلوا عن الرذائل والذى يؤدى كل ذلك بدوره إلى نشر

الأمن الاجتماعي بين أفراد الأمة قال تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) (٢٠).

رابعاً: ومن ثم فإن الحق تبارك وتعالى يجمع التحلى بالفضائل والنهى عن الرذائل بصفة عامة فى آية واحدة فيقول: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٢١).

وهو ما جمعه ﷺ أيضاً فى حديثه الجامع فيما رواه عنه أنس بن مالك ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٢٢) ولينظر كل امرئ إلى كلمات هذا الحديث الموجزة فى اللفظ ولكنها غزيرة فى المعنى، حيث جمع ﷺ الفضائل ونهى عن الرذائل فى كلمات معدودات، فإذا كان الإنسان لا يحب أن يقتل فليمتنع هو أيضا عن قتل الغير، وإذا كان يحب ألا يسرق ماله فعليه أيضاً أن لا يسرق من الآخرين، وإذا كان يحب ألا يمس عرضه بأذى فكذلك عليه أن يحافظ على أعراض الآخرين.... الخ وبالجملة أن يحب لغيره ما يحب لنفسه ولننظر كيف يكون حال المجتمع لو طبق مثل هذا؟ لا شك أنه يعيش فى أمن وسلام دائمين.

- وهو ما عناه أيضاً ﷺ بحثه على صنع الخير والمعروف حتى ولو لم يصادف أهله فيقول ﷺ فيما رواه عنه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده (اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس هو أهله فإن أصبت أهله فهو أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله) (٢٣).

- بل إن النبى ﷺ ليقرر أن صنع الخير والمعروف وهما بلا شك من الفضائل — يقى الإنسان مصارع السوء فيقول ﷺ فيما رواه عنه أبو أمامة:(صنائع المعروف تقى مصارع السوء) (٢٤).

ولذلك تنهى الشريعة الإسلامية الإنسان عن احتقار المعروف لصغره، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) (٢٥).

خامساً: بل لقد جمع الإسلام بين خيرى التوراة والإنجيل (٢٦)، فإذا كانت التوراة — وكما سيأتى – لا تحاسب إلا على وقوع الفعل، وإذا كان الإنجيل قد أوصى بنبذ الخطيئة من جذورها، فإن الإسلام قد جاء ترغيبا وترهيبا، وجاء بقاعدة الثواب والعقاب، والهدف من ذلك منع ارتكاب الجريمة وحلول الأمن والسلام فى المجتمع، فهو إذا كان قد قرر العقاب على وقوع الفعل كما هو شأن التوراة، فإنه أيضاً رغب فى ترك الإنسان للمعصية منذ البداية ونهى عنها، وعن إتيان بوادرها حتى لا يتزلق فيها كما هو شأن الإنجيل، لأن المعصية بصفة عامة لا تقع فجاءة وإنما لها مقدمات، ومن ثم فقد كان الإسلام حريصا على ترك الإنسان لهذه المقدمات، أى ترك ما من شأنه مؤديا إلى الوقوع فى المعصية، وهو ما عبر عنه فى قوله تعالى:" ولا تقربوا".

١ – فمثلاً الزنا محرم وجعل الإسلام له عقوبة الجلد مائة إن لم يكن الزانى محصنا والرجم إن كان محصنا مثل التوراة (٢٧) قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٢٨).

وعن عقوبة الرجم، فقد أجمعت روايات الحديث أنه ﷺ (رجم ماعز والغامدية وكانا محصنين) (٢٩) ولكنه مع ذلك نهى الإنسان عن الاقتراب من مقدمات الزنا

ودواعيه مثل الإنجيل(٣٠)، ومن ثم فقد نهانا القرآن الكريم عن مجرد النظر إلى ما حرم الله سواء من الذكور للإناث أو العكس، إذ هو المقدمة الأولى للزنا، واعتبر حفظ الإنسان لبصره خيرله وأفضل قال تعالى:(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) (٣١)

- ومن ثم جاء النهى عن الزنا نهيا جازما قاطعاً منذ البداية بعدم الاقتراب من أى وسيلة مؤدية إليه قال تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً) (٣٢). وهذا كله بغرض منع ارتكاب جريمة الزنا.

ونجد أيضا السنة النبوية تعضد ذلك أيضاً لتمنع ارتكاب جريمة الزنا ليس بعد الوقوع فيها، بل من الوهلة الأولى، ومن ثم تقرر بأن " العينان تزنيان، واللسان يزنى، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان ويحقق ذلك الفرج أو يكذبه " (٣٣).

وهكذا يعطينا صلوات ربى وسلامه عليه علاجاً ناجعا لمنع ارتكاب جريمة الزنا منذ بدايتها...

٢ – وكذلك الأمر بالنسبة لرعاية اليتيم (٣٤) وحرمة ماله والتى حرصت عليها الأديان السماوية جميعها وحرمت الإساءة إليه، لا سيما الشريعة الإسلامية وذلك كما يلى:

- فقد ورد فى التوراة: (لا تسئ إلى أرملة (٣٥) ولا يتيم إن أسأت إليه فإنى إن صرخ إلىّ أسمع صراخه - فيحمى غضبى وأقتلكم بالسيف، فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى) (٣٦).

ومن ضمن الإساءة أكل مال اليتيم.

- وفى الإنجيل: نجد تعاليم السيد المسيح تحذر من أكل بيوت الأرامل واليتامى فيقول (ويل لكم أيها الكتبة (٣٧)

والفريسيون (٣٨) المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ولعلكم تطيلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينونة أعظم) (٣٩)

- ولكن إذا نظرنا فى الشريعة الإسلامية نجدها قد راعت اليتيم أيما رعاية.

أ ـ فقد جعلت جزاء من يقم برعاية اليتيم وكفالته، أن يفوز بالجوار والصحبة للنبى ﷺ فى الجنة، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً) (٤٠).

ب–وجعلت جزاء من يقم على مصلحة الأرملة، بأنه كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل والصائم النهار أى له أجر أى منهما فعن أبي هريرة ـرضى الله عنه– قال: قال النبى ﷺ: (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل والصائم النهار) (٤١) متفق عليه.

ج –أما عن رعايته بحفظ أمواله فلم تحرم الشريعة الإسلامية أكل مال اليتيم بالفعل فقط قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (٤٢)، وإنما حرمت حتى الاقتراب من ماله بدون وجه حق، وما ذلك إلا لكونها تريد أن تحافظ على اليتيم وترعاه فى كل شئونه قال تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) (٤٣) بل إن القرآن الكريم أمر من يتاجر فى مال اليتيم –إذا كان فقيراً– أن يأكل بالمعروف، أى يأخذ أجرا نظير عمله، وإذا كان غنيا فليعف نفسه حتى عن أخذ الأجر ابتغاء الأجر من الله تعالى، وإن كان لا يمنع أن يأخذ أجر نظير ما قدمه من عمل قال تعالى: (وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا) (٤٤)، ومن ثم فإن التعبير بلفظ " ولا تقربوا " أبلغ فى التحريم من الفعل نفسه، لأنه يمنع الإنسان من الوسائل المؤدية إلى ارتكاب الجريمة وتحمل الخطايا.

- أرأيت أيها القارئ كيف جمع الإسلام بين خيرى اليهودية والنصرانية.

- وبعد كل ما سبق يتبين لنا بجلاء ووضوح أن الإسلام بكل ما دعا إليه من فضائل للتحلى بها، ونهيه عن الرذائل للتخلى عنها من شأن هذا هو نشر الأمن الاجتماعى بين أفراد الأمة.

المبحث الثانى

اليهودية والمسيحية ودعوتهما للتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل كطريق مؤد إلى نشر الأمن الاجتماعى

- من المقرر أن الأديان السماوية جميعها تدعوا إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل؛ لأن العمل بالأوامر والامتناع عن النواهي فى مجملها طريق يؤدى إلى نشر الأمن الاجتماعي.

- وقد سبق أن ذكرنا دعوة الإسلام إلى ذلك، ويتبقى هنا أن نذكر ما ورد فى التوراة والإنجيل بشأن ذلك.

أولاً: ما ورد فى اليهودية من دعوة للفضائل وتخلى عن الرذائل:

١ - فقد ورد فى سفر الخروج والتثنية (أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك. لا تقتل.. لا تزن.. لا تسرق.. لا تشهد على قريبك شهادة الزور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك. ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك) (٤٥).

فهذه النصوص تدعو فى جملتها إلى الفضائل وتنهى عن الرذائل، والتى لو التزم بها أفراد المجتمع وطبقوها لعاشوا جميعاً فى أمن وسلام داخل المجتمع.

٢ - وفى سفر الخروج أيضاً: (لا تقبل خبراً كاذبا. ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم. ولا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر.... لا تحرف حق فقيرك فى دعواه. ابتعد عن كلام الكذب، ولا تقتل البرئ والبار لأنى لا أبرر المذنب. ولا تأخذ رشوة؛ لأن الرشوة تعمى المبصرين وتعوج كلام الأبرار) (٤٦).

ولا شك أن العمل بهذه الفضائل والتخلى عن هذه الرذائل من شأنه نشر السلام والأمن لا سيما بين أفراد المجتمع.

٣ - ومن الفضائل أيضاً: دعوة اليهودية إلى التعاون مع الغير والوقوف بجانبه فى محنته، لا سيما اليهودى مع اليهودى، وهذا بلا شك يحقق السلام والأمن الداخلى فى المجتمع، فقد

ورد فى سفر التثنية: (إذا افتقر أخوك فباع من ملكه يأتى وليه الأقرب إليه ويفك مبيع أخيه. ومن لم يكن له ولى فإن نالت يده ووجد باع له فيرجع إلى ملكه) (٤٧).

٤ - ومن هذه الفضائل أيضاً: ما ورد فى سفر اللاويين: (لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه. ولا تحلفوا باسمى للكذب فتدنس اسم إلهك أنا الرب. لا تغضب قريبك ولا تسلب. ولا تبت أجرة أجير عندك إلى الغد. لا تشتم الأصم وقدام الأعمى. لا تجعل معثرة، بل اخشى إلهك. أنا الرب. لا ترتكبوا جوراً فى القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير (٤٨). بالعدل تحكم لقريبك. لا تسع فى الوشاية بين شعبك. لا تقف على دم قريبك. أنا الرب. لا تبغض أخاك فى قلبك. إنذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية. لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك) (٤٩).

وقد دلت كلمات هذا الإصحاح على تطبيق الفضائل بين اليهود والتحلى بها، ومن ذلك إقامة العدل وعدم الظلم، بل وترك الانتقام والحقد وعدم أكل أجرة الأجير..الخ.

ثانياً: ما ورد فى المسيحية من دعوة للفضائل وتخلى عن الرذائل:

١ - فقد ورد فى إنجيل متى ومرقس حينما " سأل شاب السيد المسيح -عليه السلام- ماذا يعمل لكى يحصل على الحياة الأبدية؟ فأجابه: إن أردت أن تدخل الحياة فاعمل بالوصايا. فسأله: أية وصايا؟ أجابه يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، ولا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك " (٥٠).

٢ - بل ويأمر السيد المسيح عليه السلام الإنسان أن يهلك عضوا له إن جرّه للخطيئة بدلا من هلاكه كله فى نار جهنم، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الشريعة المسيحية تريد أن تنأى بالإنسان عن بذور الخطيئة فيقول وكما ورد فى إنجيل متى: (فإن كانت عينك اليمنى تعثرك (٥١) فاقلعها وألقها وأطلقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك. إنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم) (٥٢).

وورد أيضاً: (ويل للعالم من العثرات. فلا بد أن تأتى العثرات ولكن ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة. فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو اقطع من أن تلقى فى النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى جهنم النار ولك عينان) (٥٣).

٣ ـ ونهت شريعة سيدنا موسى ـ عليه السلام – عن القتل، أما المسيح ـ عليه السلام – فقد ذهب إلى أبعد من ذلك فنهى عن غضب الإنسان على أخيه أو حتى مجرد التفكير فى الإساءة إليه، فقد ورد فى إنجيل متى: (قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستحق المحاكمة وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستحق المحاكمة. ومن يقول لأخيه: يا تافه يستحق المثول أمام المجلس الأعلى، ومن يقول: يا أحمق: يستحق نار جهنم) (٥٤).

- ولكن كيف يتحقق الأمن الاجتماعى بين أفراد المجتمع ليصل إلى ذروته؟

هذا ما سوف نتعرف عليه فى الفصل الثانى إن شاء الله تعالى.

هوامش الفصل الأول

(١) والمقصود بالأديان السماوية هى: اليهودية والمسيحية والإسلام.

(٢) سورة الأنعام الآيات ١٥١– ١٥٣.

(٣) سورة الممتحنة الآية ١١.

(٤) صلاة الفطر: أى صلاة عيد الفطر المبارك.

(٥) يصليها: يقصد أن صلاة العيد تؤدى قبل صعود الإمام المنبر لإلقاء خطبة العيد.

(٦) يشقهم: أى يسير ويدخل من وسط صفوف الرجال .

(٧) الحسن: هو راوى الحديث عن عبد الله بن عباس – رضى الله عن الجميع .

(٨) هلم: أى تعالوا وأقبلوا.

(٩) فدى لكن: بكسر الفاء والدال، والثانية بفتح اللام وتشديد النون، والمراد: أن صدقاتكن فداء لكن من العذاب.

(١٠) الفتخ: هو الحلق من الفضة.

(١١) أخرجه ابن خزيمة. يراجع: صحيح ابن خزيمة للإمام ابن خزيمة النيسابورى ج٢ ص ٣٥٦ (١٢) سورة الإسراء الآيات ٢٣-٣٩.

(١٣) سورة النساء آية ٢٩.

(١٤) سورة النساء آية ٣٦.

(١٥) سورة النساء آية ٥٨.

(١٦) سورة المائدة آية ٨٨.

(١٧) سورة المائدة آية ٩٠، ٩١.

(١٨) سورة الإسراء آية ٣٢.

(١٩) سورة الإسراء آية ٣٤.

(٢٠) سورة الفرقان الآيات ٦٣- ٧٧.

(٢١) سورة النحل آية ٩٠.

(٢٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه ج١ ص ٤٧٠ حديث رقم ٢٣٤.

(٢٣) أخرجه الإمام القضاعى. يراجع مسند الشهاب ج١ ص ٤٣٦، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى، مؤسسة الرسالة – بيروت ـ الطبعة الثانية عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

(٢٤) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ج٨ ص ٢٦١ حديث رقم ٨٠١٤، وفى المعجم الأوسط للطبرانى أيضاً ولكن عن أم سلمة ج٦ ص ١٦٣ حديث رقم ٦٠٨٦.

(٢٥) أخرجه مسلم فى صحيحه ج٤ ص ٢٠٢٦ حديث رقم ٢٦٢٦، دار إحياء التراث العربى – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى، ومعنى طلق: أى متهلل بالبشر والابتسام.

(٢٦) إذ التوراة شريعة مادية بحتة تهتم بالأحكام فقط، بينما الإنجيل شريعة روحانية يهتم بالأخلاقيات، أما الشريعة الإسلامية فقد جمعت بينهما، فصارت شريعة وسطا لا هي بالمادية البحتة كاليهودية، ولا بالروحانية الخالصة كالمسيحية.

(٢٧) على سبيل المثال مما ورد من عقوبة فى شأن جريمة الزنا ما ورد فى سفر التثنية(ولكن إن كان هذا الأمر صحيحاً لم توجد عذرة الفتاة، يخرجون للفتاة إلى باب بيت أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت لأنها عملت قباحة فى إسرائيل بزناها فى بيت أبيها فتنزع الشر من وسطك. وإذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة، فتنزع الشر من إسرائيل) يراجع: أسفار العهد القديم – التوراة – سفر التثنية الإصحاح ٢٢ الآيات ٢٠-٢٢، والمراد بالعذرة هى غشاء البكارة، ومن ثم فإن عدم وجود غشاء البكارة دليل على ارتكاب الزنا.

(٢٨) سورة النور آية ٢.

(٢٩) حيث روى جابر بن سمرة أن النبى ﷺ رجم ماعز ولم يذكر جلدا فيما ذكرنا من ذلك أن حد المحصن هو الرجم دون الجلد. يراجع: شرح معانى الآثار لابن سلمة ج٣ ص ١٣٩، تحقيق: محمد زهرى النجار، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ، وأما عن رجمه ﷺ للغامدية فقد روى خزيمة بن معمر الأنصارى قال:رجمت امرأة فى عهد النبى ﷺ فقال الناس حبط عملها فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: هو كفارة ذنوبها وتحشر على ما سوى ذلك. أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ج٤ ص ١٠١ حديث رقم ٣٧٩٤.

(٣٠) فقد ورد فى الإنجيل: (قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن، وأما أنا فأقول لكم:إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم)

يراجع: العهد الجديد – الإنجيل – إنجيل متى الإصحاح ٥ الآيات ٢٧-٣٠.

(٣١) سورة النور الآيتان ٣٠، ٣١.

(٣٢) سورة الإسراء آية ٣٢ .

(٣٣) أخرجه الإمام ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة، ج١٠ ص ٢٦٧، حديث رقم ٤٤١٩.

(٣٤) اليتيم: هو المنفرد عن الأب؛ لأن نفقته عليه لا على الأم، وفى البهائم: اليتيم هو المنفرد عن الأم؛ لأن اللبن والأطعمة منها.

يراجع: التعريفات للجرجانى، المرجع السابق ص ٣٣١، كما يمكن تعريف اليتيم من البشر بأنه: من مات أبوه دون سن البلوغ، أما من مات بعد سن البلوغ فلا يعتبر يتيما، ومن ثم يزول يتم الطفل إذا بلغ قال تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) سورة الإسراء آية ٣٤، وقال أيضاً (وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَستُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) سورة النساء آية ٦ ومن ثم فإن من بلغ وصار رشيداً لا يعد يتيما، يقول عبد الله بن عباس: (وأما اليتيم فينقضى يتمه إذا احتلم وآنس منه رشده) يراجع: السنن الكبرى للنسائى ج٥ ص١٨٤ رقم ٨٦١٧، تحقيق/ د.الغفار سليمان البندارى، وسيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ– ١٩٩١ م، والمعجم الكبير للطبرانى ج١٠ ص ٣٣٥ رقم ١٠٨٣١، وقيل يبلغ اليتيم أشده بثمان عشرة سنة وهو قول التابعى سعيد بن جبير. يراجع. شرح معانى الآثار لابن سلمة الأزدى ج٣ ص٢٢٠.

(٣٥) الأرملة: هى التى مات عنها زوجها سواء ترك لها أولاداً أم لا، وسواء كان الأولاد فى حال تركهم قاصرين يتامى أم بالغين .

(٣٦) سفر الخروج الإصحاح الثانى والعشرين الآيات ٢٢– ٢٤.

(٣٧) الكتبة: جمع كاتب وهى فئة كانت تنسخ الأسفار المقدسة ثم تحولت إلى تعليم الشريعة وتمسكوا بالحرف لا بالجوهر

يراجع: معجم الكلمات الصعبة للعهد الجديد وهو ملحق به ص ١١، وقيل الكاتب هو المعلم أو المفسر للشريعة الموسوية أو القانون التقليدى. يراجع: الأستاذ / محمود أبو رية – دين الله واحد – ص ٤٥ هامش (١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٤م.

(٣٨) الفريسيون: جمع فريسى، والفريسى كلمة تعنى معتزل، وهى طائفة دينية متشددة، واتصفوا بالكبرياء والرياء والتمسك بالتقاليد اليهودية، يراجع: نفس المعجم السابق ص ١١، وقيل هى: مدرسة دينية عند اليهود تتميز بمحافظتها محافظة دقيقة على مبادئ القانون والدين، وهذا اللفظ أصبح يطلق على أى شخص يراعى الصور السطحية للدين ولا ينفذ إلى الروح. يراجع: الأستاذ/ محمود أبو رية، المرجع السابق ص ٤٥ هامش (٢) .

(٣٩) يراجع إنجيل متى الإصحاح ٢٣ آية ١٤، ويراجع أيضاً: إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ آية ٤٠

(٤٠) أخرجه البخارى وغيره، يراجع: صحيح البخارى ج٥ ص ٢٠٣٢ حديث رقم ٤٩٩٨، ج٥ ص ٢٢٣٧ حديث رقم ٥٦٥٩، صحيح مسلم عن أبى هريرة ج٤ ص ٢٢٨٧ حديث رقم ٢٩٨٣. واللفظ للبخارى .

(٤١) أخرجه البخارى فى صحيحه ج٥ ص ٢٠٤٧ حديث رقم ٥٠٣٨، الإمام مسلم فى صحيحه ج٤ ص ٢٢٨٦ حديث رقم ٢٩٨٢ واللفظ للبخارى.

(٤٢) سورة النساء الآية ١٠.

(٤٣) سورة الإسراء آية ٣٤ .

(٤٤) سورة النساء آية ٦ .

(٤٥) يراجع العهد القديم – التوراة – سفر الخروج الإصحاح العشرين الآيات ١٢-١٧، سفر التثنية الإصحاح الخامس الآيات ١٦-٢١.

(٤٦) سفر الخروج الإصحاح الثالث والعشرين الآيات ١ – ٨.

(٤٧) سفر اللاويين – الإصحاح الخامس والعشرين الآيات ٢٥-٢٧.

(٤٨) وجه كبير: أى وجه متكبر.

(٤٩) سفر اللاويين – الإصحاح التاسع عشر الآيات ١١ – ١٩.

(٥٠) يراجع: إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر الآيات ١٦-١٩، إنجيل مرقس الإصحاح العاشر الآيات ١٧-١٩.

(٥١) تعثرك: أى تلقى بك فى العثرات والزلات.

(٥٢) إنجيل متى الإصحاح الخامس الآيتان ٢٩، ٣٠.

(٥٣) إنجيل متى الإصحاح الثامن عشر الآيات ٧-٩.

(٥٤) إنجيل متى الإصحاح الخامس الآيتان ٢١، ٢٢ ، طبعة دار الثقافة، ومعنى أحمق: أى جاهل أو غبى أو متهور.